

إسهامات مدينة وهران في التراث الأثري الجزائري (الفترة الإسلامية)

د. بلجوزي بوعبدالله

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

تمهيد:

لقد أولت العديد من الدراسات في مجال البحث الأثري المخلفات المادية بالجزائر أهمية كبيرة نظرا للفترات التاريخية التي شهدتها المنطقة، والتي أكسبتها عدة خصائص ومميزات، إلا أن هذه الدراسات كانت قليلة بالمقارنة إلى ما تكتنزه المنطقة من تراث أثري لا يزال البعض منه مجهولا في حين اندثر البعض الآخر. ولعل مدينة وهران من المدن الجزائرية الهامة التي مازالت تحتفظ في بعض أجزائها بطابعها العمراني والمعماري المميز لما تحويه من آثار إسلامية قائمة ترجع إلى فترات تاريخية مختلفة، ولعل أبرزها تلك التي ترجع إلى الفترة العثمانية. وسنحاول في هذا البحث إبراز دور مدينة وهران في إثراء التراث الأثري الجزائري من خلال عرض بعض المعالم الأثرية الكثيرة والمتنوعة التي تتوزع على أرجائها.

1- المعالم الدينية:

1- أ جامع الباشا بوهران:

- الموقع وتاريخ التأسيس:

يقع هذا الجامع على الضفة الشرقية لوادي الرحي، أسس جامع الباشا سنة 1207هـ/1792م بأمر من الداوي حسن باشا بمناسبة فتح وهران والى هذا يشير محمد بن يوسف الزياني في قوله: "...وعند ذلك أمر (يقصد الداوي حسن) الباي محمد ببنائه وبعث له صندوقين مملوئين مالا واحدا بعد واحد ليصرف ذلك على البناء وبعث أمين البنائين محمد الشرشالي بن تدبيرت ليحضر ذلك..." وابتدأ بناؤه عام 1207هـ[1792م]... وكان تاريخ ذلك مكتوبا بالحجارة التي به مع جملة الأشياء المحبسة...⁽¹⁾.

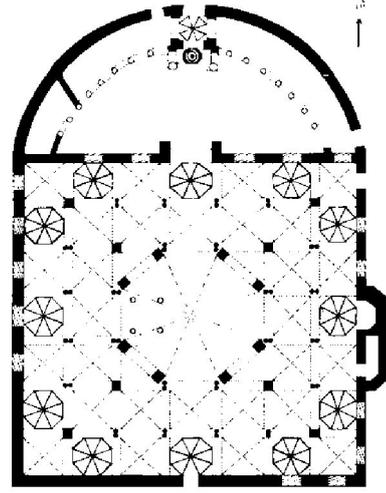
- المخطط العام:

يتكون جامع الباشا من ثلاثة أقسام، قسم يمثله بيت الصلاة، ويحتل مساحة مربعة تقريبا (28×28)م، والقسم الثاني يمثله الصحن الذي يتخذ الشكل النصف الدائري، والقسم الثالث يمثله المئذنة.

¹ - محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأئيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص.204.



الصورة 01: الواجهة الخارجية لجامع الباشا



المخطط رقم: 01 جامع الباشا بوهران
(عن بن حليلة عبد الغني)

2- ب جامع محمد بن عثمان الكبير:

- الموقع وتاريخ التأسيس:

يقع جامع محمد بن عثمان الكبير في الضفة اليسرى لوادي الرحى، بالجهة الغربية من المدينة القديمة أسفل القصبية، يرجع تأسيسه إلى أوائل السنة التي فتح فيها البايع محمد الكبير وهران سنة 1207هـ/1792م، وتم الانتهاء من منارته في سنة 1208هـ/1793م، وذلك حسب الكتابة التذكارية التي نقشت على لوحة من الحجر الرملي مستطيلة الشكل ومثبتة بالواجهة الجنوبية للمئذنة.

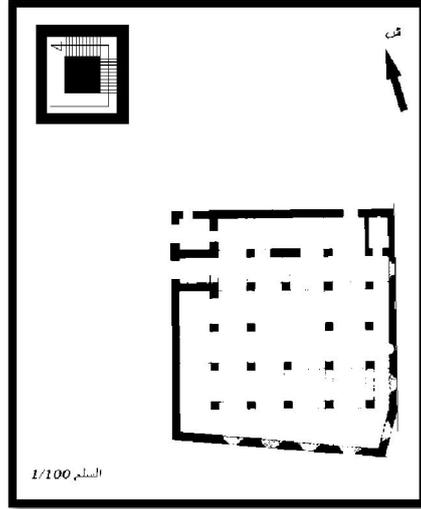
وجاء نصها كمايلي :

- الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
- أما بعد فقد أمر بإنشاء هذه [كذا] المنارة
- الرفيعة والمأذنة [المئذنة] الرايقة البديعة عبد
- الله المجاهد في سبيل الله السيد
- محمد ابن عثمان باي الأيالة الغربية وتلمسان
- وفتح ثغر وهران أيده الله حيث كان
- سنة 1207هـ

أما فيما يخص تصنيف هذا المسجد فهو إلى غاية اليوم غير مصنف، صنفت منه المئذنة فقط كمعلم تاريخي في الفترة الاستعمارية سنة 1324هـ/1906م.

- المخطط العام:

انتظم هذا الجامع وفق مخطط يتشكل من قسمين، قسم يمثله بيت الصلاة والذي رغم عدم انتظام أبعاده في الجهة الجنوبية إلا أنه أتخذ شكلا مستطيلا قريبا من المربع، وأما القسم الثاني فتمثله المئذنة، وجاءت منفصلة عن بيت الصلاة، ومقابلة له في الزاوية الشمالية الغربية.



الصورة 02: الواجهة الخارجية لجامع محمد بن عثمان الكبير بوهران

المخطط رقم: 02 جامع محمد بن عثمان الكبير بوهران

3- مدرسة خنق النطاح بوهران:

- الموقع وتاريخ التأسيس:

تقع مدرسة خنق النطاح (أو مسجد الباي محمد الكبير) شرقي مدينة وهران غير بعيدة عن الواجهة البحرية في الحي المسمى قديما خنق النطاح، أسس هذه المدرسة الباي محمد الكبير سنة 1793م⁽²⁾، عقب فتحه لمدينة وهران سنة 1207هـ/1792م لتكون مدرسة للطلبة جزاء مساهمتهم الكبيرة في استرجاع وهران، وإلى هذا يشير محمد بن يوسف الزياني في قوله: "...وكان محبا للطلبة، ولذلك بنى لهم المدرسة..."⁽³⁾، وفي نفس الوقت اتخذها كضريح له ولأسرته من بعده، وهذا ما يذكره الأغا بن عودة المزاري في قوله: "وبنا [كذا] المدرسة الجليلة العظيمة بخنق النطاح التي بها ضريحه وتعرف لآن بالمدرسة..."⁽⁴⁾.

² - Marial (W.) « La Mosquée de Sidi Mohamed-el-Kébir à Oran », Bulletin de la Société de géographie d'Oran, T.13, 1893, p.154.

³ - محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص.205.

⁴ - الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، ج.01، ط.01، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1990 ص.235.

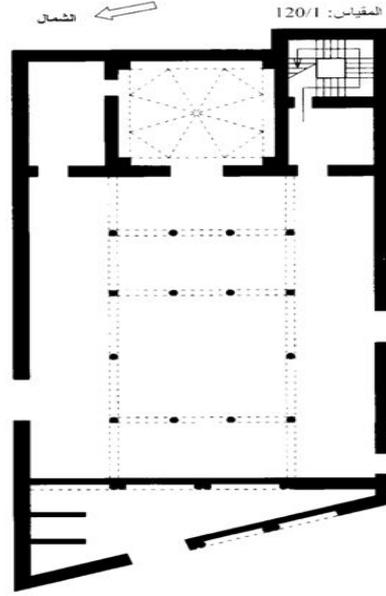
وفي سنة 1209هـ/1794م حولها إلى مسجد بعد أن انتقل إليها هربا من وباء الطاعون الذي حل بالمدينة في هذه الفترة⁽⁵⁾.

- المخطط العام:

انتظمت هذه المدرسة (الجامع) وفق مخطط شبه منحرف يميل إلى الاستطالة تقدر مساحته بنحو 265م² يحده في ركن الزاوية الجنوبية الشرقية مئذنة مربعة المسقط .



الصورة 03: الواجهة الخارجية لمدرسة خنق النطاح بوهران



المخطط رقم: 03 مدرسة خنق النطاح بوهران

2- المعالم المدنية:

2- أ قصر الباي محمد الكبير بوهران:

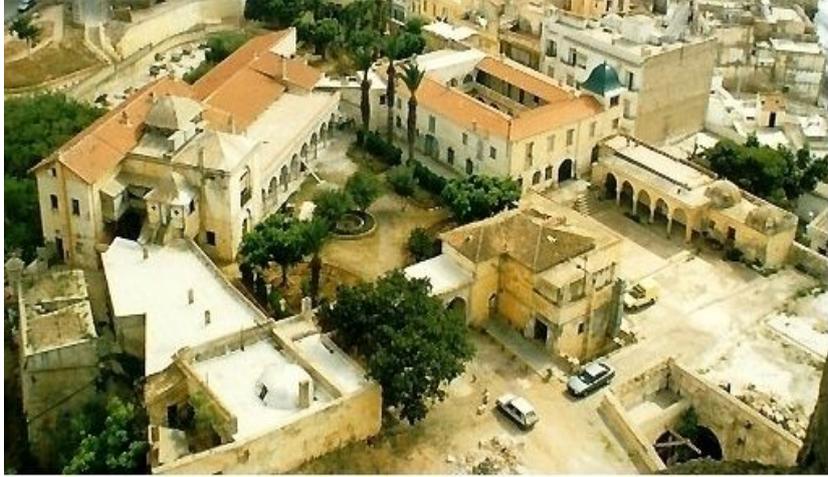
- الموقع وتاريخ التأسيس:

يتوسط هذا القصر تقريبا المجمع المعماري المسور الذي يطلق عليه إلى الآن اسم القصر الجديد. تطل الواجهة الشمالية لقصر الباي محمد الكبير حيث يوجد مدخله الرئيسي على البحر المتوسط. يرجع بناء هذا القصر إلى الباي محمد الكبير بعد فتحه لوهران سنة 1792م⁽⁶⁾، وفي هذا إشارة من كاتب الباي محمد بن سحنون الراشدي في قوله: "...وكان أول من دخلها - بعد الذين وضعوا الأعلام وعمرها المدافع وبنو مضرب الأمير - العلماء يقدمهم [كذا] صحيح البخاري ثم تلاهم الأمير في جنده

⁵. Hénri Léon (F.), **Histoire d'Oran avant, pendant, et après la domination Espagnole**, Edition Dar El Gharb, Oran, 2002, p. (282-283).

⁶- Eugène Cruck, **Oran et les témoins de son passé**, Imprimerie Heintz frères, Oran, 1956, p.70.

الجرار... فنزل داخل البرج الأحمر بمضربه الفياح الذي لا تهزه عواصف الرياح...⁽⁷⁾ وهناك إشارة أخرى من طرف محمد أبي راس في قوله: "...وأما البرج الأحمر فإنه يفوق قصور بني الأحمر، أضاف له الباي محمد الكبير محكمة أنيقة وقصرا عظيما...⁽⁸⁾ وحسب أرشيف الوكالة الوطنية فقد صنف مبنى المفضلة من هذا القصر كمعلم تاريخي من قبل الفرنسيين في 23 جويلية 1372هـ/1952م⁽⁹⁾.



الصورة 04: منظر عام لقصر الباي محمد الكبير بوهران

2- ب حمام الباي بوشلاغم بوهران:

- الموقع وتاريخ التأسيس:

يقع هذا الحمام المعروف حاليا باسم حمام الترك في الجهة الشمالية من حي القصبة القديم، على الضفة اليسرى لوادي الرحي، بنى هذا الحمام الباي بوشلاغم في الفترة التي حكم فيها وهران والتي امتدت من 1120هـ/1708م إلى غاية 1145هـ/1732م ويدل على ذلك النقشتان اللتان وجدتا مثبتتان بإحدى جدران أفنية قصر الباي بوشلاغم بوهران¹⁰. سجل تاريخ بناء هذا الحمام وحمام آخر، وكلاهما يُنسبان إلى الباي مصطفى بوشلاغم في كتابة أثرية تأسيسية منقوشة على لوحتين من الحجر (مفقودتان حاليا).

⁷ - ابن سحنون الراشدي، *الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني*، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث قسنطينة، 1973، ص. 459.

⁸ - محمد أبي راس الناصري، *عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ج. 01*، تقديم وتحقيق: محمد غانم، منشورات مركز البحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005، ص. 38.

⁹ - Agence Nationale d'Archéologie et de protection des Sites et Monuments Historiques, *op.cit*, p.131.

¹⁰ - Léon Fey (H.), *op.cit*, p. (182-183).

نص اللوحة الأولى:¹¹

- الحمد لله
- إن المجاهد في سبيل (الله)
- السيد مصطفى باي بن يوسف
- أمر بتشيد هذا الحمام في سنة

11.5 -

نص اللوحة الثانية:¹²

- الحمد لله
- إن المجاهد في سبيل الله
- السيد مصطفى باي بن يوسف
- أمر ببناء هذا الحمام في
- شوال من سنة 11.3

إن التاريخ الذي يمكن أن نرجحه لبناء هاذين الحمامين هو 1123هـ/1711م و1125هـ/1713م، وذلك لأن هذه الفترة قريبة عهد بفتح وهران سنة 1120هـ/1708م، وكان من الطبيعي أن يقوم الباي مصطفى بوشلاغم بإنشاء المرافق العامة، وخاصة منها الحمامات لأهميتها في مجتمع المدينة .

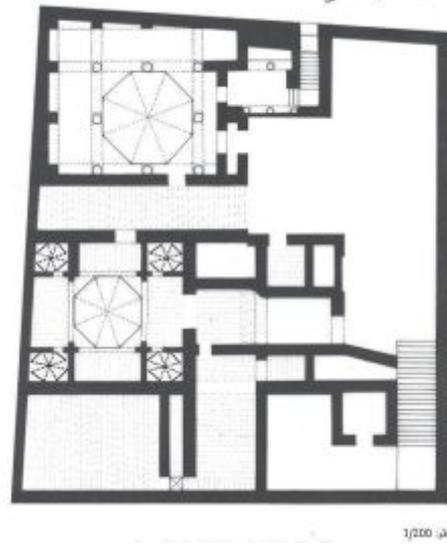
- المخطط العام:

لقد انتظم مخطط هذا الحمام انطلاقا من تشيد ثلاث أقسام رئيسية:

القسم الأول تمثله القاعة الباردة، والقسم الثاني تمثله القاعة الدافئة، ويبقى القسم الثالث ممثلا بالقاعة الساخنة ملحقا بها الفرناق. تتقدم هذه القاعات الثلاثة ساحة غير منتظمة الشكل، والحمام ككل اتخذ مخططا يميل إلى الاستطالة.

¹¹ - Léon Fey (H.), *op.cit.*, p.182.

¹² - *Ibid*, p. (182-183).



الصورة 05: منظر علوي عام
لحمام الباي بوشلاغم بوهران

المخطط رقم: 04 حمام الباي بوشلاغم بوهران

2- ج مسكن الباي حسن بن موسى (آخر بايات وهران):

- الموقع وتاريخ التأسيس:

يقع هذا المسكن في الضفة اليمنى لوادي الرحي ملاصقا لجامع الباشا من الجهة الغربية، ينسب هذا المسكن إلى آخر بايات وهران الباي حسن⁽¹³⁾ المعروف بالباهي حسن، كان في أول أمره طباحا لأربعين جنديا من الأتراك⁽¹⁴⁾ ثم بائعا للدخان وكان ذا عقل وافر وسياسة ورأي راجح فلما رآه الباي محمد الرقيق المعروف ببيكابوس (1222هـ/1807م - 1227هـ/1812م) على تلك الحالة قربه منه، وظهر له أنه لا يصلح لمصاهرتة إلا هو فزوجه ابنته وصيره من جملة مقربيه، ثم ولاه قائدا لقلية، تولى منصب الباي بعد مقتل الباي قارة بغلي (1227هـ / 1812م - 1233هـ/1817م) على يد حكام الجزائر، وكان ذلك في منتصف ذي الحجة سنة 1233هـ/1817م⁽¹⁵⁾، وبقي هذا الباي في منصبه على رأس بايلك الغرب إلى أن زحف عليه الفرنسيون بحرا إلى وهران، فسلمها لهم دون قتال يوم 4 جانفي 1247هـ/1831م، ثم أمروا بترحيله إلى مدينة الإسكندرية وبها توفي⁽¹⁶⁾.

¹³ - Eugène Cruck, **promenade dans Oran**, édition la Fouque, 1936, Oran, p. 32.

¹⁴ - مسلم بن عبد القادر، تاريخ بايات وهران المتأخر، أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر تحقيق وتقديم: رايح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر 1974، ص.29.

¹⁵ - محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص.(237-239).

¹⁶ - يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ط.2009، ص.77.

يذكر كروك بأن الباي محمد الرقيق الملقب ببكابوس هو الذي بنا هذا المسكن الصغير لنفسه سنة 1225هـ/1810م، وبعد موته أصبح المسكن بالوراثة ملكا لصهره حسن آخر بايات وهران، سكن فيه ثم قام ببيعه في سنة 1247هـ/1831م إلى قنصل انجلترا⁽¹⁷⁾.

- المخطط العام:

اتخذ الباي حسن هذا المسكن قبل توليه الحكم كسكن خاص له، ثم حول الطابق الأرضي منه إلى دكان لبيع التبغ، وفي سنة 1247هـ/1831م قام ببيعه إلى قنصل انجلترا، وبعد وقت قصير قام هذا الأخير بإعادة بيعه لإحدى العائلات التي قامت بإعادة تهيئته ليصبح مكونا من طابق أرضي وغرف في الطابق الأول وكل هذا حول فناء مع شرفة⁽¹⁸⁾.

وفي سنة 1318هـ/1900م قامت إحدى الجمعيات المعروفة بجمعية أصدقاء وهران القديمة بإعادة ترميم هذا المسكن⁽¹⁹⁾ وهذا ما يتضح من خلال اللوحة التذكارية المعلقة بأحد جدران المنزل والتي جاء فيها أنه رمم سنة 1318هـ/1900م، وصنف كمعلم تاريخي في 23 فيفري 1374هـ/1954م.



الصورة 66: منظر عام لمسكن آخر بايات وهران

خاتمة:

إن الدارس للآثار مدينة وهران يدرك أن المدينة شهدت عبر مختلف حقبة التاريخ حضارات متنوعة خلفت لنا معالم تاريخية متنوعة، منها ما نالت نصيبها من الدراسة، ومنها ما هو غير مدروس ينتظر من يسلم الضوء عليه، ونحن وان كنا قد أمطنا اللثام على بعض المعالم الأثرية عامدين بذلك إثارة الاهتمام بمخلفات هذه المدينة إلا أن ما بقي منها يستحق دراسات أكثر عمقا.

¹⁷ - Eugène Cruck, **Oran et les témoins...**, op.cit, p.96.

¹⁸ -. Ibid, p .96.

¹⁹ - Augustin Bernard, **En Oranie**, », Bulletin de la Société de géographie d'Oran , N° : 21, 1901, p.265.